جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

قسم الجغرافية / المرحلة الرابعة

المادة: جغرافية النقل

أستاذ المادة:ا.م.د .عادل طه شلال

الايميل : adel.taha@tu.edu.iq

تطور النقل في وادي الرفدين

كان للعراقيين القدماء دور بارز في التطور الحضاري لوسائل النقل ، فهم أول من توصل الى اختراع العجلة وبناء العربات ، كما انهم أول من استخدم السفن الشراعية لاغراض النقل المائي . وحتى تكون لدينا فكرة واضحة عن تطور النقل في وادي الرافدين فسنستعرض النقل المائي والبري كل على حدة وبالشكل الآتي :

١- النقل المائي : -

أدت المظاهر الطبيعية السائدة في القسم الأوسط والجنوبي من العراق دوراً بارزاً في تشكيل الكثير من الخصائص الحضارية للحضارة القديمة التي قامت فيه ، فالارض الفيضية والتربة الرطبة وتوفر المياه من الرافدين كلها عوامل دفعت الجماعات في هذا الجزء من العراق القديم الى التوجه نحو النهر والارتباط به ، فقد قدم النهران بسخاء مادة غذائية رئيسة لسكان العراق منذ اقدم العصور تتمثل بالثروة السمكية ، هذا فضلاً عن توفيرها لشروط الاتصال بين المناطق المختلفة ، حيث ربط اجزاءه بشبكة واسعة من الطرق السهلة والجيدة ، ولعل أوضح مثل على هذا الارتباط يتمثل في ان اغلب المدن القديمة ، الحديثة ، تتركز بالقرب من ضفاف الانهار ، وبذلك فقد هيأت الطبيعة للعراقيين طرقاً . جيدة ودون أية تكاليف في انشائها أو صيانتها كما هو الحال في الطرق البرية ، وقد كان ذلك عاملاً مشجعاً على ازدهار التجارة وتطورها في العراق القديم . ومما يزيد في أهمية وسائط النقل المائية في بلاد وادي الرافدين تعيين الخصائص الآتية :

١- زيادة قدرة النقل المائي على حمل الاوزان الثقيلة والتي لا تستطيع وسائل النقل البري القديمة تقلها

٢ – اتساع شبكة الانهار والقنوات الاروائية في العراق القديم نتيجة لزيادة الاهتمام بالاراضي الزراعية وفرت امكانية كبيرة لاستغلال كل تلك القنوات والأنهر لاغراض النقل المائي والتي بالمستطاع استخدامها على مدار السنة عكس النقل البري القديم والتي تؤدي ظروف البيئة شتاء دوراً مؤثراً في عرقلة الاستفادة منها بسبب الطمي والفيضان .

٣– تركز القسم الأكبر من مراكز التجمعات السكانية على امتداده خاصة في الجزء الأوسط والجنوبي من العراق

٤–يشكل نهر الفرات بسبب طول مجراه وصلاحيته الكبيرة للنقل النهري طريقاً طبيعية ربط بلاد الرافدين بالاقاليم المجاورة ، فهو يمتد شمالاً وشمال غرب حتى يقترب من مناطق الجبال اللبنانية حيث وجد العراقيون عندها ضالتهم من المواد الأولية كالاخشاب والاحجار والمعادن . كما ان انعطاف النهر في اقامه العلوية نحو الغرب تقلل المسافة الأرضية بينه وبين البحر المتوسط ، لذلك يشكل في امتداده هذا حلقة وصل جيدة النشاطات التجارية في البحر المتوسط (١) . كما انهم استفادوا من نهري دجلة والفرات في الابحار عبر منطقة الخليج العربي وصولاً حتى سواحل جنوب القارة الآسيوية

خصائص وسائل النقل المائية في العراق القديم

ان تطور النقل المائي وصل الى حد ان ظهر هناك نوع من التخصص في صناعة السفن لدرجة ان ظهرت أنواع مختلفة بعضها عن بعض من حيث الوظيفة والشكل والطاقة الاستيعابية . وتذكر الدراسات التاريخية ان هناك اكثر من ٤٠ نوعاً من السفن (١) . فهناك سفن مخصصة لنقل المسافرين وأخرى لنقل السلع والمنتجات ، وهناك السفن التي تستخدم للاغراض العسكرية وسفن الاحتفالات الرسمية وسفن الانقاذ وسفن العبارة التي كانت تختص بنقل الاشخاص بين ضفتي النهر .. الخ وكل نوع من

السفن السابقة قد يصنف وفق معايير معينة ، فسفن نقل البضائع والسلع كانت متعددة فهناك سنن مختصة بنقل الخيز والشعير والماش والخضراوات والبصل والتمر .... الخ وبعضها كان يحور بحيث يلائم البضائع المنقولة . فعلى سبيل المثال فان سفن نقل جرار الخمر والزيت تختلف في تصميم حوضها عن سفن نقل القصب أو الاخشاب كما ان السفينة المخصصة لنقل الشعير لا تصلح لنقل المنتوجات كما تصنف السفن ايضاً الى سفن نهرية وسفن بحرية كما قد تصنف الى سفن تسير مع مجرى التيار سواء اكانت شراعية أو غير شراعية وسفن ذات مجاذيف أي التي تسير عكس مجرى التيار. حيث كانت تلك السفن تدخل الفرات من الخليج وتكمل مسيرتها في نهر الفرات وصولاً إلى ماري تل الحريري عند الحدود العراقية – السورية) والى آشور على نهر دجلة

ان أصالة العراقيين القدماء ودورهم الحضاري في النقل المائي تبدو واضحة من ان كلمة سفينة المستخدمة في اللغة العربية هي بابلية الاصل ترجع الى القرن السادس قبل الميلاد حيث تلفظ) (Sapinatu)) والشيء نفسه يقال عن كلمة ملاح السومرية

الاصل والمتكونة من كلمتين هما (ما) وتعني قارب و (لاخ) وتعني يدفع ، وهي تسمية للعمل الاصلي الذي كان يقوم به الملاح في مناطق الاهوار فاذا هو دافع القارب. أما فيما يختص بحمولات السفن في العراق القديم فكانت متباينة فأكبر السفن المستخدمة النقل المواد والبضائع التجارية بلغت سعتها ١٢٠ كورا أو ما يعادل ١٢ طناً بمقاييسناً الحالية اما عن سعة السفن فكانت تتراوح ما بين ١٢٠٠ كورا وأكثر السفن استخداماً هي التي كانت حمولتها ٦٠ كورا (٦ أطنان)٠

وفضلا عن السفن فقد استخدم العراقيون القدماء وسائل نقل مائي عديدة منها القفة وهي نوع من وسائل النقل تشبه السلة المدورة التي يستعملها العمال الحمل الترب والأجر على رؤوسهم . وهي في الواقع سلة من اغصان مدينة وذات قعر منبسط وغير عميق جداً وكان القمر يغطي بالجلود ويغلق بنسالة الكتان وقطع من الصوف تضغط جميعها بشدة وتمزج بالطين الرقيق والقار الذي يضمن عدم تسرب الماء خلاله و كان القارب بحركه رجل أو رجلان بمجاذيف قصيرة وهناك بعض القفف التي كان يديرها اربعة اشخاص حيث بقابل كل زوج من اصحاب المجاذيف الزوج الآخر وقد انتقلت فكرة صناعة من العراق الى الهند والصين واوربا مع ملاحظة اختلاف المادة المستخدمة ، في الصناعة

ومن وسائل النقل المائي الأخرى التي استخدمت بشكل واسع في الجزء الشمالي من العراق القديم الكلك واقدم ظهور له في العصر الاشوري الوسيط (حوالي ١٣٠٠– ٩٠٠ ق.م) ، وهي على ثلاثة أنواع : النوع الأول يتمثل بالاكلاك الخشبية ، والنوع الثاني ، يتمثل بالا كلاك المصنوعة من القصب والبردي ، اما النوع الثالث فيتمثل بالاكلاك الجلدية التي تصنع من نفخ جلود الحيوانات (القرب) وهذه كانت تستخدم للانتقال من الشمال إلى الجنوب مع مجرى النهر حيث كانت تعاد للشمال على ظهور الحيوانات بعد وصولها الى نهاية الرحلة وكانت تلك الاكلاك متباينة في اتساعها حيث يتراوح اتساعها ما بين ١٠–٥٠ قدم ٢ وكانت عدد القرب التي تعتمد عليها تلك الاكلاك متباينة ايضاً حيث تتراوح ما بين ٥٠ ١٠٠٠ قربة من جلود الخرف او غيرها من جلود الحيوانات مع ملاحظة ان القفف والاكلاك لاتزال يستعملها البعض حتى الوقت الحاضر.